

المحاضرة الثامنة: المدرسة السياقية

تمهيد:

يشكل السياق الدعامة الرئيسة لكل تحليل لغوي، إذ مقتضاه تتحدّد المعاني المتعدّدة للوحدات اللّغوية، وأي استبعاد للسياق من شأنه أن يؤدي إلى الإبهام وإعاقة عملية التواصل القائمة على الفهم والإفهام، وها هنا ستكون لنا وقفة عند المدرسة السياقية وبالتحديد عند العالم اللساني (فيرث 1890/1960 م).

أولاً: في مفهوم السياق:

1. لغة: تجمع المعاجم اللّغويّة على أنّ السّياق من مادة (س و ق)؛ يقول (الخليل) (100/175هـ): " سقته سوقاً، ورأيتَه يسوق سَيّاقاً؛ أي ينزع نزعا عند الموت، والسّاق لكلّ شجر وإنسان وطائر... والأسوق الطّويل عظم السّاق".

وفي معجم (أساس البلاغة) للزّحشري (538هـ) ورد السّياق: "ساق النّعم فانسقت، [...] ورجل أسوق، طويل السّاق، وتساوقت الإبل تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سَيّاق".

2. اصطلاحاً:

يقول ستيفن أولمان (Stephen Ullmann) متحدّثاً عن السياق: " وكلمة (Contexte) قد استعملت حديثاً في معاني مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهّم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي؛ أي: النّظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النّظم، بأوسع معاني هذه العبارة، إنّ السّياق على هذا التّفسير ينبغي أن يشمل - لا الكلمات والجمل الحقيقيّة السابقة واللاحقة فحسب - بل والقطعة كلّها، والكتاب كلّ، كما ينبغي أن يشمل - بوجه من الوجوه - بكلّ ما يتّصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللّغويّة، المتعلّقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهمّيّتها البالغة في هذا الشّأن".

ثانياً: النظرية السياقية بين النشأة والتّطور:

تأسست المدرسة السياقية (الإنجليزية) على نزعتين، الأولى؛ على علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا)، ومعنى آخر كانت تنطلق في بحثها ودراستها على المبادئ الفونولوجيّة. ثم جاء فيما بعد اللساني (فيرث) الذي تأثر بالنّظريات اللّغوية الهنديّة واعتقد أنّ تطور النّظريات اللّغوية يستلزم الدراية الدّقيقة

المحاضرة الثامنة: المدرسة السياقية د/ زريق إ
مباحث الأصوات اللغوية. والأخرى النزعة الدلالية التي مثلها اللساني (فيرث)، وعلى العموم ركزت هذه
المدرسة في بحثها الظواهر اللغوية على السياق ومقتضى الحال.

ثالثا: جهود فيرث اللسانية: تمحورت جهود فيرث في نقطتين رئيسيتين هما: مجال الأصوات ومجال
الدلالة:

1. مجال الأصوات: وميز فيه فيرث بين مستويين: أولهما؛ مستوى الوحدات الصوتية الوظيفية
(الصوائت والصوامت والمقاطع الصوتية)، الآخر؛ مستوى الوحدات الصوتية فوق المقطعية، وهي: النبر
والتنغيم..

2. مجال الدلالة: جهوده في مجال الدلالة يمكن حصرها في:

أ. الوظيفة الاجتماعية للغة: يرى فيرث أنّ الميزة الجوهرية التي تتميز بها اللغة الإنسانية هي وظيفتها

الاجتماعية، وأنّ إنتاج الملفوظات اللسانية يتم في إطار سياق الموقف الاجتماعي والثقافي، وبذلك يبرز
المتكلم - المستمع للغته دوره وشخصيته في البيئة اللسانية المتجانسة التي ينتمي إليها.

ب. المعنى والتحليل اللغوي المعنى في نظر فيرث عبارة عن مجموعة مركبة من العلاقات السياقية،

وعلى الدراسة الفونولوجية والتركيبية والمعجمية أن تعالج مكونات هذه المجموعة في إطار سياقها وبعبارة
أخرى تخضع الوحدات اللغوية في النظرية السياقية إلى التفسير الدلالي الذي يعمل على حصر السياقات
المختلفة التي تظهر فيها تلكم الوحدات بوصفها مدخلا معجميا تتغير بتغير المواقف والسياقات المختلفة
التي ترد فيها، سواءً أكانت لسانية أم غير لسانية.